

**الاستراتيجية الفرنسية في شرق المتوسط  
التوازن من الخارج\***

إعداد: د. حسام مطر، مدير أبحاث ومحاضر جامعي متخصص في العلاقات الدولية.  
ورقة مقدمة إلى مؤتمر "النزاعات في شرق المتوسط: أسبابها ومآلاتها" الذي نظمه مركز الجزيرة للدراسات بالتعاون مع الجزيرة مباشر يومي 23 و24 أيلول 2020.



أوراق عمل: الاستراتيجية الفرنسية في شرق المتوسط التوازن من الخارج  
صادر عن: المركز الاستشاري للدراسات والتوثيق  
تاريخ النشر: تشرين الأول 2020 الموافق صفر 1442

### حقوق الطبع محفوظة للمركز

جميع حقوق النشر محفوظة للمركز. وبالتالي غير مسموح نسخ أي جزء من أجزاء التقرير أو اختزانه في أي نظام لاختران المعلومات واسترجاعها، أو نقله بأية وسيلة سواء أكانت عادية أو الإلكترونية أو شرائط ممغنطة أو ميكانيكية أو أقراص مدمجة، استنساخاً أو تسجيلاً أو غير ذلك إلا في حالات الاقتباس المحدودة بغرض الدراسة والاستفادة العلمية مع وجوب ذكر المصدر.

العنوان: بئر حسن- جادة الأسد- خلف الفانتزي وورلد- بناية الورود- الطابق الأول

هاتف: 01/836610

فاكس: 01/836611

خليوي: 03/833438

Postal Code: 10172010

P.o.Box:24/47

Beirut- Lebanon

E.mail: dirasat@dirasat.net

<http://www.dirasat.net>

## ثبت المحتويات

- 5..... مقدمة:
- 6..... أولاً: شرق المتوسط كواقع أمني متميز.....
- 7..... ثانياً: انزياحات ميزان القوى .....
- 10..... ثالثاً: فرنسا: الواقعية الدفاعية .....
- 15..... رابعاً: أفق المواجهة.....



## مقدمة:

حاليًا تقع أبرز توترات وصراعات الشرق الأوسط وشمال أفريقيا على ضفاف شرق المتوسط. فهذه المنطقة تشهد تكثيفًا لصراعات الإقليم حيث تتقاطع المصالح الاقتصادية والجيوسياسية والإيديولوجية التي تشمل إلى قضايا الطاقة والممرات البحرية الصراع العربي الإسرائيلي وتنافس القوى الإقليمية الصاعدة وصولًا إلى الحروب الأهلية ذات التدخلات الدولية العالية كما في سوريا وليبيا. لهذا يبدو شرق المتوسط اليوم مختبرًا حيًا للتحوّلات الإقليمية والدولية التي تعصف بكل المنطقة بل والعالم. بالمحصلة تختبر منطقة شرق المتوسط ثلاثة اتجاهات في الوقت عينه، التعاون، والتنافس، والأدوار المختلطة للقوى الكبرى التي تتعاون في ملف وتتنافس في آخر.

لقد أدت الاكتشافات الغازية في شرق المتوسط إلى تشجيع الصراع والحرب بدل السلم وكذلك إلى تبلور سياسة محاور محتدمة قطباها كل من تركيا وفرنسا. فما إن أعلن الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون في مطلع العام الحالي، أمام قمة برلين المخصصة لبحث الأزمة الليبية، أن تركيا تنقل السلاح والعتاد والمقاتلين بشكل مباشر إلى حكومة الوفاق، وتحاول استغلال حلف الأطلسي لتحقيق مآربها، حتى انتقلت المواجهة التركية - الفرنسية في ليبيا وشمال أفريقيا من مرحلة التصعيد والتوتر إلى مرحلة الاصطفافات الأوسع واحتدام المواجهة.

لا يمكن فهم التحوّل في المقاربة الفرنسية إلا بعد إدراك الطموحات التركية المستجدة. يريد أردوغان أن تؤدي تركيا دور "شبه مستقل" من داخل التحالف مع الغرب بحيث تكون ذات نفوذ داخل الشرق الأوسط والأجزاء السابقة من السلطنة العثمانية بما يتماهى مع نموذج ديغول للسياسة الخارجية الفرنسية حين أراد لفرنسا أن تبدو كقوة عظمى بذاتها (غير مستتبعة) داخل الغرب<sup>1</sup>. ما تقوم به تركيا بديهي إلى حد بعيد، كل دولة تتزايد موارد قوتها تميل نحو إعادة تعريف مصالحها و "حقوقها" بشكل موسّع عبر الاحتجاج بالتاريخ والأيديولوجيا وأحيانًا القانون.

لطالما كان تاريخ العلاقات العثمانية - الفرنسية معقدًا ومتداخلًا. لوقت طويل كان العثمانيون جزء من نظام السياسات الأوروبي ولاعبون على رقعة الشطرنج الأوروبية، كما في تحالفهم مع الفرنسيين لموازنة قوة آل هابسبورغ في أسبانيا والنمسا عام 1563. سيطرت البراغماتية على العلاقات الفرنسية - التركية التي كانت تنتقل من التعاون في

<sup>1</sup> Soner Cagaptay, Erdogan's Empire: Turkey and the Politics of the Middle East, I. B. TAURIS, 2020, p.270

وجه الروس إلى الصراع على تقاسم إرث الإمبراطورية العثمانية المتهالكة<sup>2</sup>، ومن الحرب في عهد الاستقلال الأتاتوركى إلى الالتحاق بأوروبا (بريطانيا وفرنسا تحديداً) بهدف التحديث والحماية<sup>3</sup>، ومن التقارب في حقبة الحرب الباردة إلى النفي من "الفردوس الأوروبي" بعد 2003.

نسعى في هذه الورقة إلى تفسير المقاربة الفرنسية في شرق المتوسط في ظل التنافس المحتدم مع تركيا خلال العام 2020 تحديداً. كيف يتحوّل ميزان القوى في الشرق المتوسط في السنوات الأخيرة؟ وإلامّ تسعى باريس وما هي الخيارات المتاحة أمامها وضمن أية استراتيجية؟ وما هي احتمالات المواجهة وتداعياتها في المدى المنظور؟

### أولاً: شرق المتوسط كواقع أمني متميز

بدأت الاكتشافات الغازية الهائلة في شرق المتوسط منذ العام 2011 متزامنة مع انتفاضات العالم العربي وما تلاها من بروز للقوى الإقليمية والدولية في شرق المتوسط على وجه الخصوص. إن أبرز ساحات الصراع والحرب منذ العام 2011 تقع على ضفاف شرق المتوسط من سوريا إلى ليبيا ومروراً بتواصل احتدام الصراع العربي- الإسرائيلي ووصولاً إلى الأزمة اللبنانية. هذا كله كان يجري في ظل تراجع واضح لرغبة الأميركيين في التدخل المباشر وعجزهم عن السيطرة على صراعات الإقليم ما أتاح مساحات فراغ جاذبة لأدوار

---

<sup>2</sup> حمت بريطانيا وفرنسا العرش العثماني من تقدم جيش محمد علي عام 1833، وذلك لمنع روسيا من النفاذ إلى المتوسط والمياه الدافئة بحجة تأمين الدعم للسلطنة العثمانية. كما حارب البريطانيون والفرنسيون إلى جانب العثمانيين في حرب القرم 1853 – 1856 ضد التهديد الروسي لاسطنبول. لكن هذا التعاون لم يتحول إلى تحالف رسمي، وهكذا عانت السلطنة المنعزلة من هزيمة أخرى على يد الروس عام 1878. ثم أجبر الضغط الفرنسي – البريطاني السلاطين العثمانيين على الاعتراف بالحكم الذاتي لبعض أجزاء الإمبراطورية العثمانية المترنحة كما في كريت وجبل لبنان. فخلال القرن التاسع عشر كانت فرنسا من أبرز المستفيدين من تراجع السلطنة حيث استولت على تونس والجزائر.

<sup>3</sup> بعد الحرب العالمية الأولى انطلق أتاتورك في حرب الاستقلال ضد أرمينيا وفرنسا واليونان المدعومة من بريطانيا. لكنه ما إن أقام النظام العلماني وثبت أركانه في ثلاثينيات القرن الماضي كان أتاتورك جاهزاً للاقترب من الأمم المعجب بها أي فرنسا وبريطانيا العظمى. وفي نهاية الثلاثينيات فصلت فرنسا سنجق الاسكندون عن سوريا وسهلت انتقاله إلى السيادة التركية لإبقاء أنقرة إلى جانبها بوجه التهديد النازي المتصاعد. خلال تلك المرحلة لجأ أتاتورك إلى "أوربة" تركيا في إطار سعيه لوضعها مجدداً على مسار القوى العظمى. وكما حال السلاطين العثمانيين المتأخرين ألحق أتاتورك أمن تركيا بالركب بالفرنسي والبريطاني سعياً وراء دعمهم في الشؤون الدولية إلى حين عودة تركيا إلى مكانة الدولة العظمى. وقد استفاد أتاتورك من هذا التحالف لموازنة التهديد التوسعي الإيطالي في عهد موسوليني، والتحق بحلف البلقان المدعوم فرنسياً.

القوى الخارجية التي بدأت بدورها تحاول بناء مجالات نفوذ سواء بالدخول المباشر أو عبر إنشاء التحالفات وإقامة شبكات مصالح متداخلة.

أصبح شرق المتوسط مجالاً شديد الجاذبية للقوى الكبرى في المنطقة وخارجها، من ناحية تحوُّله إلى مركز طاقوي، مصدرًا وممرًا، ومجالاً للتنافس الجيوسياسي، ومنطلقاً لقضايا الأمن والهجرة والتهريب والتطرف التكفيري. اليوم أصبحت البيئة الأمنية لشرق المتوسط معرّفة من خلال أربع ديناميكيات متداخلة: اكتشاف الطاقة، والتنافسات الجيوسياسية واختلالات توازن القوى، ومحفزات الأمن الإنساني الجديد، والمصالح المتزايدة في المنطقة للقوى الخارجية.

هذه التحوّلات تؤدي إلى تحويل شرق المتوسط إلى غاية بذاته وليس مجرد وسيلة لتحقيق مصالح استراتيجية أكبر في الشرق الأوسط. بل تصدر كتابات تدعو إلى التعامل مع شرق المتوسط إقليمًا بذاته حيث يؤدي غازه دور النفط في منطقة الخليج، وبالتالي له واقع أمني جديد على المستوى الإقليمي. وهناك من يرى أنه مجمع أمني – طاقوي أو إقليم فرعي متميز ضمن الشرق الأوسط حيث تتشارك دول شرق المتوسط خلفية تاريخية واعترافًا داخليًا بخصوصية المنطقة ودورها كصلة وصل بين الشرق والغرب وفيه مستوى من التشابك الاقتصادي وأصبحت ذات أهمية أمنية عالية في السياسات الدولية المعاصرة.

### **ثانيًا: انزياحات ميزان القوى**

انطلاقًا مما تقدم، برز بعد العام 2011 دور كل من تركيا وروسيا<sup>4</sup> في شرق المتوسط. تطور الدور التركي في المنطقة بعد العام 2011 وفقًا لديناميكيات داخلية وخارجية بحيث أضحت أنقرة من مراكز القرار الإقليمي ذات النفوذ، الصلب والناعم، في جملة من الساحات والقضايا من بينها الحضور في شرق المتوسط<sup>5</sup> عبر دورها المستجد في كل من مصر

---

<sup>4</sup> من ناحية الصين لا يزال حضورها خجولاً وأبرز استثمار لها هو في ميناء بيربوس اليوناني الذي أكد الصينيون في أيلول الماضي أنهم يأملون من خلال الاستثمارات الصينية أن يتحول هذا الميناء إلى ميناء عالمي ضمن مبادرة الطريق والحزام.

<sup>5</sup> يرى سونر جاغباتاي، الباحث المتخصص بالشأن التركي، أنه كما كانت حدود السلطنة العثمانية ليست خطأ حادًا بل متعرجًا يمر بجزر في شرق المتوسط ويصل إلى الصحاري والقمم الثلجية في جبال القوقاز، كذلك يرى أردوغان أن تركيا تلقي بظلها النافع على طول أراضي السلطنة السابقة.

(حقبة محمد مرسي)<sup>6</sup> وسوريا وقطاع غزة ولاحقاً ليبيا<sup>7</sup>. وقد ساهم فشل الانقلاب العسكري ضد أردوغان عام 2016 في تحفيز طموحاته التوسعية لسببين: الأول أتاح فشل الانقلاب المجال لأردوغان لتطهير الجيش وإعادة تشكيله من الموالين وبالتالي القدرة على توظيفه أكثر في السياسة الخارجية، وثانياً زادت رغبة أردوغان في تحدي الغرب الذي وُجّهت له تهمة تدبير المحاولة الانقلابية. كما لا يمكن إغفال أن أردوغان أبعد داوود أوغلو، صاحب نظرية صفر مشاكل، عن دائرة صنع القرار في أيار 2016.

أما روسيا فبعد العام 2015 انتقلت نحو التدخل العسكري المباشر في سوريا حيث شكّل المتوسط الممر الأبرز للدعم اللوجستي والنقل وحشد القوات. إلا أن الأجندة الروسية في شرق المتوسط كانت أبعد من الضرورات العسكرية بل شملت أيضاً قضايا الطاقة والخوف من بروز بدائل طاغوية لأوروبا وهو ما يمثل تهديداً للأمن القومي الروسي. وبالرغم من الصراع الروسي – التركي في سوريا، وبدرجة أقل في ليبيا، إلا أن العديد من دول شرق المتوسط سواء الدول الأوروبية، أو الكيان الصهيوني بدعم أميركي، تعاملت بعدائية مع الحضور المتزايد لكلا الدولتين في منطقة المتوسط.

في العام 2006 ظهر مصطلح "الوطن الأزرق" على لسان الأدميرال المتقاعد، جيم غوردنيز<sup>8</sup> عندما كان رئيس الوحدة المسؤولة عن خطط وسياسات أنقرة البحرية، وذلك بهدف الإشارة إلى مناطق السيادة البحرية التركية المعلنة وغير المعلنة، لكن الفكرة ارتبطت مع الوقت بمساعي تركيا لتأمين مصادر للطاقة والغاز في البحار المحيطة بها. في تموز 2019، نشر موقع الرئاسة التركية صورة لـ أردوغان أثناء إطلاق مناورات بحرية واسعة باسم "الوطن الأزرق" وهو يقف أمام خريطة تظهر ما أطلق عليه "الوطن الأزرق"

<sup>6</sup> في خطابه بجامعة القاهرة، امتدح أردوغان قرار الرئيس المصري حينها محمد مرسي بسحب السفير المصري من "إسرائيل" رداً على الغارات الجوية الإسرائيلية على قطاع غزة. وقد اقترح أردوغان حينها "حلفاً مصرياً – تركيا" يضمن السلام والاستقرار في شرق المتوسط كون هذا التحالف سيقيد قدرة "إسرائيل" على استخدام القوة.

<sup>7</sup> يرى داوود أوغلو أن العالم بالنسبة لتركيا مؤلف من ثلاث مناطق جيواستراتيجية: الجوار البري القريب (البلقان والشرق الأوسط والقوقاز) والجوار البحري القريب (البحر الأبيض المتوسط، والبحر الأسود والأدرياتيكي، والبحر الأحمر والخليج وبحر قزوين) والمناطق القارية القريبة (أوروبا، شمال أفريقيا، جنوب ووسط وشرق آسيا). وإذا عززت تركيا من حضورها في هذه المناطق فسيقوى حضورها العالمي.

<sup>8</sup> نقلت وكالة فرانس برس عن غوردنيز، قوله إن "الوطن الأزرق رمز لـ "بحرنة تركيا"، أي زيادة الدور الذي يلعبه إطلالها على البحر في اقتصادها، مشيراً إلى أن مبدأه "يحاول تحديد مناطق الاختصاص البحري المحيطة بتركيا". وأكد الأدميرال التركي المتقاعد، أن تركيا بحاجة إلى تأمين هذه المناطق من أجل رفاهيتها و دفاعها وأمنها و"حتى سعادتها". وقال متشبهاً بمواقفه إنه حتى وإن تم فرض عقوبات و"حتى وإن كانت تركيا وحدها في هذه المعركة، فإن تركيا لن تستسلم". وتشمل نظرية غوردنيز أكثر من 460 ألف كلم مربع من حدود تركيا البحرية، بما في ذلك المسطحات المائية المحيطة ببعض الجزر اليونانية.



الذي يجسّد حلم تركيا في تعزيز السيادة البحرية في البحار المحيطة بها وهي: المتوسط وإيجة ومرمرة والأسود. وأشار غوردنيز مؤخراً إلى أن نظرية "الوطن الأزرق" (Mavi Vatan) لا علاقة لها بالإسلام ولا بوجود حزب العدالة والتنمية بقيادة الرئيس رجب طيب أردوغان ذي التوجهات الإسلامية في السلطة". وأوضح أن "تركيا اليوم تجد نفسها وحدها تقاتل من أجل خريبتها. في الماضي كان هدف القوى الغربية هو إحاطة تركيا بحدود الأناضول، لكن الزمن تغير الآن ومنذ عام 2002 يسمح لنا الوطن الأزرق بتأكيد أنفسنا من خلال دبلوماسية السفن الحربية والتدريبات"<sup>9</sup>.

ورداً على الانزياح في ميزان القوى المتوسطي نحو كل من تركيا وروسيا، وتزامناً مع وصول دونالد ترامب للبيت الأبيض وتسليمه ملف الشرق الأوسط لتيار اليمين المسيحي المتشدد بدأت واشنطن عام 2018 برعاية قيام كتل إقليمي للغاز يستثنى تركيا بهدف الحد من تطور نفوذها في المنطقة وموازنتها ولكن من مدخل طاقوي. وفي كانون الثاني عام 2019، اجتمع سبعة وزراء طاقة من منطقة شرق المتوسط في العاصمة المصرية القاهرة ووقعوا اتفاقية لتأسيس "منتدى غاز المتوسط"<sup>10</sup>. واستثنى المنتدى كلاً من تركيا ولبنان وسوريا وشمال قبرص التركية من عضويته عند إنشائه، رغم أنها دول تطل على حوض شرق البحر المتوسط. وكان سبق ذلك تراجع قوات المعارضة السورية عن مدينة كسب قرب اللاذقية والمطلة على البحر المتوسط، إضافة إلى نجاح قوات خليفة حفتر في وقت لاحق بمحاصرة العاصمة الليبية حيث تتمركز حكومة الوفاق الحليفة لتركيا.

تمكنت أنقرة بوقت قياسي من استيعاب جهود احتوائها في شرق المتوسط من خلال مقاربة هجومية قامت على المشاركة العسكرية المحدودة واستعراضات القوة وتقديم المساندة العسكرية والسياسية لحليفها الليبي والقيام بحملات دبلوماسية واسعة مع تأمين مشروعية داخلية لخطواتها في شرق المتوسط. فنجحت في استعادة المبادرة في ليبيا وتحييد موسكو نسبياً والتقدم للقيام باستكشافات للطاقة في مناطق متنازع عليها وتوقيع

<sup>9</sup> ترك برس، الأدميرال غوردنيز.. مبدأ الوطن الأزرق وبحرنة تركيا، 24 آب 2020.

<sup>10</sup> حضر الاجتماع ممثلون عن: مصر واليونان وقبرص و"إسرائيل" وإيطاليا وفلسطين والأردن (رغم كونه غير ممثل على المتوسط). كما شارك في الاجتماع وزير الطاقة الأميركي وممثل المفوضية الأوروبية لشؤون الطاقة وممثل للبنك الدولي. وتم التوصل إلى اتفاقية لتأسيس "منتدى غاز شرق المتوسط"، حيث وقعت "توتال"، "إني" "نوفتك" "إكسون" اتفاقيات لاستكشاف وإنتاج الغاز مع الحكومات المعنية. تبع الاتفاقية التركية-الليبية توقيع قبرص واليونان و"إسرائيل" في 3 كانون الثاني 2020 اتفاق متعلق بإنشاء خط أنابيب شرق المتوسط، "إيست ميد" لمدّ أوروبا بالغاز الطبيعي.

اتفاقية ترسيم للحدود مع ليبيا<sup>11</sup> (تشرين الثاني 2019) رغم الاعتراض الأوروبي والمصري<sup>12</sup>. أدت هذه الخطوات إلى اختلال التوازن في شرق المتوسط لصالح أنقرة. وفي هذا السياق بدأت تبرز مقارنة تداخلية فرنسية نحو المنطقة. بهذا المعنى تكون المقاربة الفرنسية الحالية استكمالاً لمنتهى الغاز الذي عجز بمفرده عن كبح جماح تمدد النفوذ التركي.

### ثالثاً: فرنسا: الواقعية الدفاعية

تتعارض المصالح الفرنسية – التركية في شرق المتوسط من كون كلتا الدولتين لهما إرث تاريخي في المنطقة التي يقارباها كمجال نفوذ حيوي، وكذلك هناك تنافس في موضوعات الطاقة والدور في أفريقيا<sup>13</sup> وتباين في الموقف من الهجرة والإرهاب<sup>14</sup>. يطمح الأوروبيون للحفاظ على شرق المتوسط بحيرة غربية<sup>15</sup>، فيما تراه تركيا أحد مجالات النفوذ الخصبة لمد تأثيرها بشكل يمنحها أفضلية في العلاقة مع الأوروبيين وللتوغل أكثر نحو أفريقيا بعد وصول طموحاتها في المنطقة العربية إلى حدود مقيدة بشدة<sup>16</sup>. كما أن كلا

<sup>11</sup> اعتبر نائب الرئيس التركي فؤاد أقطاي (أن مضمون الاتفاقيات مع ليبيا يؤسس لمرحلة مختلفة عن السابق: "في شرق البحر الأبيض المتوسط، نحن نمزق الخرائط التي تهدف إلى حشرنا في البر الرئيس. كما أشار تشاتاي إرجياس، مدير عام شؤون الحدود البحرية في وزارة الخارجية، إلى أن الاتفاق مع ليبيا يرقى إلى مستوى رسالة سياسية مفادها أنه لا يمكن تهميش تركيا في شرق البحر الأبيض المتوسط، ولا يمكن تحقيق أي شيء في المنطقة دون مشاركة تركيا".  
<sup>12</sup> في نهاية آب 2020 وقّعت مصر واليونان اتفاقية ترسيم لمناطقهما الاقتصادية الخالصة لاستغلال الموارد البحرية.

<sup>13</sup> في 23 نيسان 2017، قال الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون، في مقابلة مع صحيفة "لوموند" الفرنسية، وكان مرشحاً للرئاسة آنذاك، "عندما أنظر إلى أفريقيا أرى قارة المستقبل، ولهذا السبب أريد أن أقيم شراكة طموحة بين فرنسا وأوروبا ومنطقة البحر المتوسط وأفريقيا لتعزيز مصالحنا المشتركة في مجالات: المناخ والتجارة والعمل والإبداع، لكن أيضاً الأمن والاستقرار".

<sup>14</sup> يشرح "الكتاب الأبيض" الخاص بالعقيدة العسكرية الفرنسية الصادر عام 2017 في فصله الرابع، أولويات فرنسا الاستراتيجية المتوسطة تحت عنوان: "بسط الاستقرار في الجوار الأوروبي". وجاء في الجزء الخاص بالمتوسط ما يلي "المتوسط وهو الواجهة البحرية الاستراتيجية للاتحاد الأوروبي يشكل قلب العلاقات والتاريخ المشترك منذ ثلاثة آلاف عام. وهذه العلاقات الاستراتيجية والاقتصادية والثقافية والإنسانية تتمتع بكثافة خاصة فمصالحنا مشتركة مع المتوسط والتحديات التي نواجهها واحدة ومنها التحدي الأمني واستقرار المنطقة والتهديب والإرهاب".

<sup>15</sup> تقريباً 35% من الغاز و50% من النفط الذي تستهلكه أوروبا يمر عبر شرق المتوسط بحسب أرقام العام 2016.

<sup>16</sup> يرى سونر كاغاتاي أن أكبر مكاسب أردوغان في العقد الأخير كانت في أفريقيا. فبين عامي 2003 و2017 ارتفع عدد السفارات التركية في أفريقيا من 12 إلى 41، وكذلك ارتفعت الاستثمارات التركية المباشرة هناك من 100 مليون دولار إلى 6.5 مليار\$. وبحدود العام 2019 كان أردوغان قد أنجز 35 زيارة

الدولتين هما الأبرز اقتصادياً في المتوسط، ولذا من الصعب على فرنسا، وأوروبا عموماً، أن تدير ظهرها لتركيا. يضاف لما تقدم الهواجس الفرنسية من الحضور الروسي في المتوسط ولا سيما في ظل تردي العلاقات مع الولايات المتحدة كضامن للأمن الأوروبي. ولكن نظراً للبعد الجغرافي لروسيا عن المتوسط ولأن مصالحها فيه أقل من تلك التركية تضع فرنسا هواجسها تجاه روسيا في شرق المتوسط في مرتبة أدنى.

ويشير الباحث في مركز الجزيرة للدراسات حواس تقية إلى أن فرنسا تنظر إلى نفسها كقوة بحرية وليس برية وهي تعرّف مصادر التهديد بناء على ذلك، فالتهديد مصدره البحر بالتحديد شرق المتوسط وهذا ما يمكن أن يفسّر جزءاً من التباين بين فرنسا وألمانيا فيما يخص الأمن الأوروبي.

كان التدخل الفرنسي إلى جانب دول منتدى الغاز سعيًا لاستعادة التوازن بوجه أنقرة. لا تستطيع فرنسا الهيمنة على شرق المتوسط، فهي لا تمتلك الأدوات والموارد الكافية لذلك ولكنها تريد من خلال حلفائها البقاء في موقع متقدم تستطيع من خلاله تحقيق مصالحها والحفاظ على صورة القوة الأوروبية ذات الأدوار الدولية.

طرح ماكرون فكرة "السلام المتوسطي" حيث يمكن لفرنسا أن تؤدي دور الضامن للاستقرار في المتوسط وهو ما يعني ضمناً حفظ وإدارة التوازن القائم بما يضمن مصالحها. ولذا يمكن أن تنطبق على فرنسا نظرية الواقعية البنوية الدفاعية، فهي لا تسعى لموقع الهيمنة بل أن تحظى بالمقدار الكافي من القوة لضمان توازن يخدم مصالحها.

يرى كينيث والتز، صاحب نظرية الواقعية البنوية، أن النظام الفوضوي وتوزع مقدرات القوة هي قيود قوية ومحفزات تنتج تشابهاً في سلوك الدول. والدولة تسعى بحد أدنى إلى حفظ نفسها وهي من خلال التفاعل مع باقي الدول تمر بعملية تنشئة اجتماعية

---

رسمية لدول أفريقية. وأثناء زيارته للجزائر سأله صحفي باللغة الفرنسية "هل أتيت إلى هنا وأنت تشعر بالعطف تجاه الاستعمار العثماني، فأجابه أردوغان: لو كان مستعمرين لكنت طرحت السؤال بالتركية وليس الفرنسية. ولطالما كرر أردوغان في جولاته الأفريقية التمييز الحاد بين ثنائية الاستعمار الأوروبي للقارة والقيم الثقافية والدينية المشتركة بين شعوب القارة والسلطنة العثمانية. هذا الحضور الأفريقي تحول لمنافسة تركية مع المحور السعودي الإماراتي في القرن الإفريقي، وتحديداً الصومال وجيبوتي، والسودان. في العام 2018 كانت شركة الطيران التركية تقصد 55 وجهة تقع في 37 دولة أفريقية متجاوزة في ذلك رقعة انتشار شركة الطيران الفرنسية.

Soner Cagaptay, Erdogan's Empire: Turkey and the Politics of the Middle East, I. B. TAURIS, 2020, pp. 231- 248

تتعلم فيها تقليد الدول الناجحة في حفظ أمنها ما يؤدي لظهور أنماط من السلوك الدولي ومخرجات مثل توازن القوى وتشكيل التحالفات.

وبحسب النسخة الدفاعية من الواقعية البنيوية فإن الدول تسعى لزيادة أمنها من خلال حماية توازن القوى القائم من خلال استراتيجيات دفاعية غالبًا. فطبيعة النظام الدولي تؤدي إلى أن سلوكيات العدوان والتنافس والتوسع لزيادة القوة عبر الهيمنة والتفوق غير منتجة لأنها ستحفز معضلة الأمن والتوازنات المضادة بما يقوّض جهود الدولة الأمنية ويبدد مواردها المادية.

عام 1997 استخرج كريستوفر لاين مفهوم "التوازن من الخارج" offshore balancing، الذي يعدّ من صلب الواقعية البنيوية الدفاعية، بديلاً من التوسع المفرط للسيطرة على الشؤون الدولية الذي يراكم اعتمادية الحلفاء ويزيد الأعداء الساخطين. وهذا المفهوم يمثل استراتيجية لتوازن القوى في عالم متعدد الأقطاب حيث تتيح للدول الأخرى الحليفة المجال لتحمل الأعباء فيما ينحصر دور الدولة في تأمين الدعم للحلفاء في إقليم ما للحفاظ على التوازنات ولا تتدخل عسكرياً بشكل مباشر إلا عند الضرورة وبشكل مؤقت وسريع، وذلك بدلاً من الهيمنة المباشرة.

فالدولة المسيطرة هنا تقبل بظهور قوى كبرى أخرى تكون مسؤولة عن الحفاظ على التوازن في إقليمها بما يحفظ مصالح تلك الدولة. وبذلك تتقلص حاجة الدولة المسيطرة للإنفاق الخارجي وتحول مزيد من الموارد للداخل لبناء عناصر القوة الذاتية<sup>17</sup>. بناءً على ما تقدم يمكن وصف الاستراتيجية الفرنسية بأنها تعمل وفق "التوازن من الخارج" إلى حد بعيد، وذلك بهدف تفادي التورط المباشر في مغامرة عسكرية بوجه دولة أخرى منخرطة في الناتو، وتحيل الأعباء على الدول الحليفة في شرق المتوسط ولكن مع جرعة من الدعم متناسب والاندفاع التركية.

وفي أواخر شهر آب 2020 صرّح ماكرون أن ما فعلته فرنسا هذا الصيف كان مهمًا: "هي سياسة الخط الأحمر. وقد فعلتها أيضًا في سوريا". وأكد أن الإجراءات الفرنسية في شرق المتوسط كانت متناسبة مع حجم التهديد وليس أكثر منه<sup>18</sup>.

<sup>17</sup> أنظر مثلاً: علي الجرباوي ولورد حبش، النظرية الواقعية في مواجهة أحادية القطبية الدولية، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، مجلة سياسات عربية، العدد 38، أيار 2019، ص: 28-49.

<sup>18</sup> وردت وزارة الخارجية التركية على تصريحات ماكرون في بيان قال إن "أولئك الذين يظنون أنهم رسموا خطوطاً حمراً بوجه القضية المحققة لتركيا في شرق المتوسط سيواجهون موقفاً تركيا حازماً فقط. إذا كان هناك من خط أحمر في الإقليم فهو يمكن أن يكون حقوق تركيا وحقوق القبارصة الأتراك المستمدة من القانون الدولي.

تريد فرنسا تطويع الطموحات التركية وضبطها واحتواءها في شرق المتوسط مع ما يلزم من إقرار ببعض المصالح التركية. إذًا تستند المقاربة الفرنسية في "التوازن من الخارج" إلى ركنين اثنين: الأول الحفاظ على الوضع القائم ومنع تركيا من تغييره، والثاني تقوية الفاعلين الإقليميين من الحلفاء.

#### يشتمل الركن الأول (الحفاظ على الوضع القائم) على جملة سياسات منها:

- رسم خطوط حُمر واضحة ومحاولة فرضها عبر اللعب على حافة الهاوية، مثل الحد من نقل المدد العسكري التركي إلى ليبيا عبر البحر<sup>19</sup> أو فرض انسحاب السفن التركية من مناطق متنازع عليها مع قبرص واليونان.
- الضغط على الناتو والولايات المتحدة لاتخاذ مواقف أكثر حزمًا ضد الخطوات التركية.
- محاولة الحصول على دور حامي السيادة والسلم في المتوسط وكذلك حامي المصالح الأوروبية (مسألة الهجرة) والهوية الأوروبية للمتوسط<sup>20</sup>.
- تعزيز الحضور العسكري في مياه المتوسط بما في ذلك توسعة القواعد البحرية في المنطقة وإرسال مزيد من المعدات العسكرية.
- مواصلة الانخراط في الحرب الليبية لمنع تركيا من تثبيت موطئ قدم لها هناك، مع ما يستلزمه ذلك من تطوير التعاون مع الإمارات ومصر.
- رفع أثمان السياسات التركية من خلال دفع الاتحاد الأوروبي والأميركيين لفرض عقوبات على أنقرة.
- التهديد بإخراج تركيا من أية ترتيبات واستراتيجيات أمنية غربية في المتوسط في حال المواجهة مع حلفاء باريس، وفي المقابل إبداء الاستعداد لدمجها في الجهود الغربية في قضايا سوريا وإيران وروسيا بحال تعاونت في شرق المتوسط.

<sup>19</sup> كاد يقع اشتباك بين الطرفين في شهر حزيران بعد محاولة بارجة حربية فرنسية تفتيش سفينة تركية متجهة نحو ليبيا.

<sup>20</sup> غرّد رئيس الوزراء اليوناني على تويتر قائلاً: إيمانويل ماكرون صديق حقيقي لليونان ومدافع متحمس عن القيم الأوروبية والقانون الدولي.

## أما الركن الثاني (تقوية الفاعلين الإقليميين) فيشتمل على:

- إجراء مناورات عسكرية مشتركة مع إيطاليا وقبرص واليونان أواخر آب بعد إرسال تركيا سفن للمسح إلى مناطق متنازع عليها مع اليونان.
- تعزيز القدرات العسكرية للدول الحليفة من خلال تحسين قدراتها الجوية والبحرية.
- دفع الاتحاد الأوروبي نحو مواقف أكثر وضوحاً وتماسكاً ضد السياسات التركية، لا سيما مع الارتباط الوثيق للاقتصاد التركي بالدول الأوروبية<sup>21</sup>.
- المشاركة بشكل أعمق في تحالفات إقليمية مثل طلب الانضمام إلى منتدى غاز شرق المتوسط الذي تحوّل إلى منظمة إقليمية في 22 أيلول 2020 في سياق التنافس المحتدم مع أنقرة.
- جذب لاعبين خليجيين بمقدراتهم المالية للمشاركة في جهود احتواء تركيا في ليبيا تحديداً. كما أن التطبيع الإماراتي الإسرائيلي يشكّل مصدر تهديد إضافي للدور التركي في المتوسط.
- تعزيز الحضور السياسي في دول شرق المتوسط لمنع تركيا من استغلال أي فراغات في هذه الدول كما هي الحال في لبنان منذ انفجار مرفأ بيروت في الرابع من آب 2020.

---

<sup>21</sup> على سبيل المثال، 80% من الديون التركية مملوكة لمصارف موجودة في الدول الأوروبية. كما لا تزال الأسواق الأوروبية في المراتب الأولى للصادرات التركية وبالتحديد ألمانيا وبريطانيا وإيطاليا، فأوروبا هي الشريك التصديري والاستيرادي الأول لتركيا. فيما لم تزيد معدلات التجارة مع روسيا والصين إلا بحدود ضيقة. وعلى صعيد الاستثمارات الأجنبية المباشرة في تركيا كانت حصة "الغرب الاستراتيجي" منها 78% في العام 2018.

## رابعاً: أفق المواجهة

### متغيرات متداخلة بين فرنسا وتركيا

أفضلية فرنسية	أفضلية تركية	
رفض الأميركيين لمعظم المطالب التركية في شرق المتوسط والأولوية لحلفائها في منتدى الغاز.	رغبة أميركية بمساكنة الأتراك في سبيل احتواء كل من الروس والصينيين، وهو ما يمنع واشنطن من تبني كامل الأجندة الفرنسية.	<b>الموقف الأميركي</b>
عدم قدرة الوفاق على حسم الصراع ونجاح داعمي حفتر في رسم خط أحمر أمام تقدم قواتها في سرت. وما دام الصراع ساخناً سيتلقى حفتر مزيداً من الدعم والمدد من عدة دول مقتدرة مادياً وعسكرياً ما يهدد بإمكان اختلال التوازن مستقبلاً.	التقدم العسكري الذي أنجزته حكومة الوفاق في ليبيا. انتقال قوات حفتر إلى وضعية دفاعية واضطرارها للتعامل مع حكومة الوفاق في أية ترتيبات مستقبلية لتقاسم السلطة.	<b>الوضع الليبي</b>
لفرنسا أفضلية مرتبطة بانتشار حلفائها في المنطقة وقدرتها على توفير دعم عسكري رادع بالحد الأدنى، فضلاً عن القيود الأميركية التي تحول دون وصول تركيا لدرجة استخدام قواتها العسكرية ضد دول في الناتو.	القدرات العسكرية التركية البحرية والجوية وقربها الجغرافي من نقاط التوتر في المتوسط.	<b>إمكانات التدخل العسكري</b>
تفتقد تركيا لتحالف إقليمي واسع، إذ إن الدول الأساسية في شرق المتوسط تعمل ضمن منتدى الغاز، فيما تبدو تركيا معزولة باستثناء الساحة الليبية.	اعتماد كل من اليونان وقبرص على عمق الالتزامات الأوروبية الأميركية لتحديد مدى قدرتها على مواجهة المطالب التركية.	<b>التحالف الإقليمي</b>
يحاول ماكرون بناء مشروعية أوروبية لدوره في المتوسط ومشروعية فرنسية من خلال البروز كقوة أوروبية. وهو هنا يستفيد من التوتر الهوياتي المتصاعد أوروبياً ضد تركيا في ظل حكم أردوغان.	المشروعية الداخلية للمطالب التركية في المتوسط مرتفعة بفعل ربطها بمصادر دينية وقومية وتاريخية.	<b>المشروعية</b>
يستفيد الفرنسيون من المخاوف الأميركية من الدورين الروسي والصيني لدفع واشنطن نحو موقف أكثر قرباً منهم. كما أن المخاوف الإسرائيلية المتزايدة من الدور التركي ستدفعهم للتعاون أكثر مع الفرنسيين مع ما تمتلكه تل أبيب من قدرات بحرية وأمنية وتقنية متقدمة <sup>22</sup> .	النفوذ التركي في التوازنات السورية وقدرتها على مساومة الروس والأميركيين انطلاقاً منها في قضايا مرتبطة بشرق المتوسط.	<b>قدرة المساومة</b>
قلق أوروبي متزايد من الدور التركي، لا سيما مع حاجة الأوروبيين الملحة لتنوع مصادر الطاقة خاصة مع التوتر المتزايد مع روسيا المتزامن مع تراجع أميركي عن الالتزام بأمن الحلفاء الأوروبيين.	الضعف في الموقف الأوروبي لناحية عدم وجود سياسة موحدة وعدم الرغبة بتدخل واسع، إضافة لكون تركيا جزءاً من الناتو.	<b>الوضع الأوروبي</b>

<sup>22</sup> يرى معهد دراسات الأمن القومي الإسرائيلي أن القدرة الفرنسية المحدودة لتحريك ميزان القوى الإقليمي لصالحها هو خبر سيئ "لإسرائيل" أيضاً، وأن التجربة الفرنسية هي نموذج للسياسة غير الفعالة في المتوسط وعلى "إسرائيل" التعلم منها. فعلى الرغم من الأفضلية النسبية لفرنسا فإن سلوكها المتشدد ولكن من دون تخطيط سياسي عميق وغير المتسق والتعاون الهش مع الحلفاء، يؤدي إلى الفشل في حماية مصالحها في المنطقة.

لن تتراجع فرنسا عن جهودها لاحتواء النفوذ التركي المتزايد في شرق المتوسط، وستركز على العمل من خلال "التوازن من الخارج" بما يمنع وقوع صدام مباشر ويوزع العبء على الحلفاء ويفرض أثماناً مرتفعة على السياسة التركية. تهدف هذه الاستراتيجية إلى منع تركيا من تحقيق مرادها وصولاً إلى دفعها لاكتشاف حدود التوازن ثم التواضع في متطلباتها وأهدافها. ولا يمكن لفرنسا في ظل التحولات الدولية الحالية على حساب الغرب والشكوك حول الاتحاد الأوروبي أن تخسر نفوذها الإقليمي في شرق المتوسط حيث مجالها الحيوي القريب.

من المستبعد جداً وقوع مواجهة مسلحة بين فرنسا وتركيا وذلك لأسباب مرتبطة بالطرفين وكذلك بفعل الدور الأميركي، ولذا سيبقى الصراع ضمن "المنطقة الرمادية" بأدوات العقوبات وحروب الوكالة وحرب المعلومات واستعراضات القوة والضربات بدون بصمة والهجمات الإلكترونية. سيتواصل التنافس صعوداً وهبوطاً بهدف جمع مزيد من النقاط والقضم وممارسة سياسات حافة الهاوية مع مساكنة بعض المطالب التركية ورسم خطوط حمراء أمام مطالب أخرى. سيعمل الاتحاد الأوروبي والناطو كآليات لامتناهات التوتر، لا سيما الناتج على المواقف التركية، وتوجيهه إلى داخل المؤسسات لعله لا سيما في الخلافات الحدودية. فيما تبقى ليبيا الساحة الأكثر احتمالاً للتصعيد نظراً لإمكانية أن تشهد قتالاً بالوكالة.

إن نجاح جو بايدن في الوصول إلى البيت الأبيض سيعزز من الموقف الفرنسي على حساب تركيا (لا سيما إن استفادت الإمارات من مسار التطبيع مع الكيان الصهيوني لحصد بعض عوائده في ليبيا)، حيث سيحرص بايدن على ترميم العلاقة مع الأوروبيين والتشدد مع روسيا وتركيا وهو ما يمكن أن يشكّل حافزاً لتقارب تركي - روسيا في المقابل. إن استمرار الجهود لاحتواء تركيا في شرق المتوسط، خاصة في ظل تطور العلاقات الإسرائيلية الخليجية بعد انطلاق قطار التطبيع، يمكن أن يكشف عن مجال جيوسياسي جديد للتعاون بين أنقرة وطهران حيث للأخيرة حضورها في كل من لبنان وسوريا، وهذا الاحتمال يمنح طهران مساحة مناورة إضافية بوجه الأوروبيين في المرحلة المقبلة.